

المفاهيم الترجمية وجذورها في التراث اللساني العربي

Translation Concepts and their Roots in the Arabic Linguistic Heritage

د. هشام قيراط^{*1}¹ كلية الآداب واللغات - جامعة بومرداس (الجزائر)، h.kirat@univ-boumerdes.dz

تاريخ النشر: 2022/06/05

تاريخ القبول: 2022/05/04

تاريخ الاستلام: 2022/04/23

ملخص:

من خلال هذا البحث، نريد تسليط الضوء على بدايات الدراسات الترجمية في التراث العربي وبيان إسهامات الجاحظ في هذا الميدان، وأنه أستاذ هذا العلم العريق وكذا بيان أسبقية علماء اللغة العرب في معالجة هذه الموضوعات، منذ أكثر من ألف ومئتي سنة تقريباً، وأن آراءهم وأفكارهم في هذا المجال متقدمة على علماء اللغة في أمريكا وأوروبا، بل إنهم يكررون ما قاله العرب في هذا المضمار. لهذا سنحاول من خلال ورقتنا البحثية الإجابة عن التساؤلات التالية: ما مدى إسهام علماء اللغة العرب في الترجمة تنظيراً وتطبيقاً ونخص بالذكر الجاحظ؟ وما هي المفاهيم المتعلقة بالترجمة التي تطرق لها هؤلاء ووجدت لها منفذاً في علم النظريات الترجمية الحديثة؟

الكلمات المفتاحية: علم الترجمة؛ اللسانيات؛ المفاهيم الترجمية؛ الجاحظ.

Abstract:

Through this paper, we want to shed light on the beginnings of translation studies in the Arab heritage and explain the contributions of Al-Jahiz in this field, and that he is a professor of this ancient science as well as a statement of the primacy of Arab linguists in dealing with these issues, for more than a thousand and two hundred years ago, and that their opinions and ideas in this field Advanced for linguists in America and Europe, they even repeat what the Arabs said in this regard. For this, we will try, through our research paper, to answer the following questions: How far do Arab linguists contribute to translation, in theory and practice, especially with regard to the big

* المؤلف المرسل: د. هشام قيراط

one? What are the concepts related to translation that these people touched upon and found an outlet for in modern translation theories?

Keywords: translation science; linguistics; translation concepts; al-Jahiz.

1. مقدمة:

لطالما كانت الترجمة باعتبارها ممارسة جزءا من الحياة الاجتماعية والثقافية. وعلى الرغم من أنه لم يتم التنظير لها في إطار تخصص معترف به، وهو علم الترجمة إلا مؤخرا، إلا أنها كانت تعتبر فرعاً من اللسانيات. وبطبيعة الحال، فقد قام العديد من المترجمين قبل هذه المرحلة النظرية، بتبادل خبراتهم في هذا المجال وحاولوا وضع مبادئ و مناهج للترجمة. ورغم زعم الغرب بأنهم هم السباقون لوضع قواعد وأسس علم الترجمة، إلا أن هذا لا ينفي أن لعلماء العرب القدماء الفضل الكبير في تبيان الترجمة والاهتمام بالتنظير لها ولعل أبرز من تطرق لهذا الموضوع نجد الجاحظ الذي يعتبر من أوائل المنظرين للترجمة.

2. ماهية الترجمة:

تعد الترجمة حالة خاصة من حالات التواصل الذي يربط بين مختلف الشعوب، وعاملاً لازدهار الثقافات. وقد أصبحت الترجمة ميداناً خصباً للدراسة والتدريس والبحث.

1.2 تعريفها لغة :

تعددت تعريفات الترجمة وتباينت، فعرفت على أنه التفسير والبيان واختلف على أصلها فيما إذا كانت عربية أو معربة وفي ذلك يقول "التهالوني" "أن معناها في الفارسية بيان لغة ما بلغة أخرى أما الذي يقول أنها عربية فمنهم الفيروز أبادي وابن منظور ومرتضى الزبيدي.

و يمكن القول ها هنا، أن مصطلح "ترجمان"، تناولته أغلب المعاجم العربية القديمة ، مما يدلّ على اهتمام العرب بالترجمة تنظييراً و ممارسة و يمثل هذا الاتجاه التنظيري "بيت الحكمة" في بغداد و العالم اللغوي الفذّ الجاحظ الذي كانت له جهود تنظيرية مهمة و مفيدة في الترجمة .

و جاء في "المعجم الوسيط"، و هو المعجم الحديث الذي يصدره معجم اللّغة العربيّة في القاهرة، أنّ: "التَرْجُمَةُ-ترجمة فلان: سيرته وحياته(ج) تراجم و، ترجم الكلام: بيّنه ووضّحه و-كلام غيره، و عنه: نقله من لغة إلى أخرى، و- لفلان ذكر ترجمته، والتَرْجُمان: المُترجم(ج) تَرَجِمُ و ترجمه" (النجار، 1976، صفحة 175)

وورد أيضاً في معجم "المنجد في اللّغة العربيّة المعاصرة": "تَرْجَمَة: نقل كلام من لغة إلى أخرى: "ترجمة كتاب إلى اللاتينية". شرح، تفسير : "ترجمة فكرة كاتب"، سيرة شخص، تاريخ حياته" (المنجد في اللغة العربية المعاصرة، 2015، صفحة 145)

و قد ورد في "معجم لاروس 2012 (Le petit Larousse 2012) التعريف الآتي:

« traduction n.f.1.action de traduire ; ouvrage traduit » (Larousse, 2012, p. 1097)

وجاء الفعل "يترجم"(traduire)في القاموس نفسه كالآتي :

«traduire v.t (du lat. traducere, faire passer) 1. Transposer un texte d'une langue dans une autre. 2 rendre visible. 3 traduire en justice dr, citer, appeler devant un tribunal.» (Larousse, 2012, p. 1097)

2.2. اصطلاحاً :

لقد تعددت تعاريف الترجمة بتعدد النظريات و المنظرين في الحقل الترجمي ، وجاء كل تعريف وفق ما يراه واضعه و ما يتصوره عن الفعل التّرجمي وما ينتج عنه ، وسنعرض موجزاً لأهم التعاريف

للترجمة ، فـ"هي نقل الكلام المنطوق أو المكتوب من اللغة الأصل الى اللغة المستهدفة"(العلبيكي، 1990، 510)

وهي أيضا : "عملية تحويل إنتاج كلامي في إحدى اللغات إلى إنتاج كلامي في لغة أخرى مع المحافظة على جانب المضمون الثابت، أي على المعنى"(أسعد مظفر الدين، 1989، 39) ويعرفها اللساني الفرنسي جان رينيه لا ديميرال (Jean René Ladmiral)، فيقول: "تُعَدُّ التَّرجمة حالة خاصّة من التماس و التّقارب اللّسانيّ، وهي تفيّد، بالمعنى الواسع، كلّ شكل من أشكال "الوساطة البَيْلُغويّة"(médiation interlinguistique) التي تُمكن من نقل المعلومة بين متكلميّ لغات مختلفة" (لاديميرال، 2011، صفحة 73)

و يوضح لادميرال أنّ الترجمة لا تقتصر على فعل لساني أو انتقال آلي من لغة إلى أخرى ، وانما تقوم على وساطة لسانية و معرفية بين منظومتين لغويتين .

فيما يعرفها اللّسانيّ جورج مونا **Georges Mounin** بقوله :

« L'activité traduisante, activité pratique, augmente rapidement dans tous les domaines » (Mounin, 1963, p. 6)

"النشاط التّرجميّ، نشاط تطبيقيّ، ينتشر سريعا في كلّ الميادين"-ترجمتنا.

وكان للجدليّة القائمة منذ القدم والمستمرة والمتجدّدة، بين ترجمة المعنى أو المبنى وبين الترجمة الحرفية أو المعنويّة، نصيب كبير من الدّراسات والأبحاث، فجاءت التعاريف مبنية على هذا المذهب أو ذاك.

وما كان لأحد أن ينكر دور الترجمة كوسيط حيويّ بين لغات متعدّدة، و ثقافات متشعّبة. فمنذ أن اختلفت ألسنة النّاس، و اتخذت كل جماعة لغة، عبّرت بها عن حاجاتها و كانت وعاء جامعا

لكلّ ما يمكن أن ينتجه أهل تلك الجماعة من علم و أدب و فن. ولما كان التّواصل مع الآخر فطرة جبل الله عليها النّاس، جاءت التّرجمة لتكون حلقة وصل، و ضرورة لمعرفة فكر الآخر. والمتأمل في عصرنا هذا، عصر السّرعة والتّسارع في تدفّق المعلومة، بشتّى أشكالها، يدرك أهميّة التّرجمة كعامل تطور للإنسانيّة جمعاء. ذلك أن المعرفة ليست في لغة رسميّة وواحدة. و الإبداع مهما كان نوعه، لا يختصّ به قوم دون غيرهم.

3. علم التّرجمة (traductologie):

من البديهي أنه لا يمكننا وضع قواعد أو نظريات في مجال ما دون المرور من باب التطبيق فيه، ومجال التنظير في الترجمة نسبي قد يصيب منظر ما في وضعه لقواعد ومناهج لتتبع عند أداء الترجمة وقد يخطئ. ورأينا يوافق إلى حد ما ما ذهب إليه جون دوليل (Delisle, 2001) الذي يقول: "إن الترجمة نشاط حيث نتبع القواعد دون امتلاكنا قواعد لتطبيق القواعد" كانت الترجمة في البدء عبارة عن ممارسة فرضتها نشاطات الانسان السياسية و الاقتصادية، فسبقت الممارسة التنظير بقرون عديدة ، ثم أصبحت مبحثا ضمن دراسات اللّسانيات التطبيقية (linguistique appliquée) ، و كان أوّل من أطلق مصطلح "الدراسات التّرجميّة" الأمريكي جيمس هولمس (James holmes) " الدّراسات التّرجميّة" (translation studies)، ثم نقل إلى الفرنسية بـ "traductologie"، و إلى العربيّة بـ "علم التّرجمة" أو "التّرجميّة". ويتكون مصطلح "traductologie" من كلمتين يونانيتين (traductio=ترجمة) و (logos=علم). وبهذا يكون "علم الترجمة" ذلك المجال الواسع من الدّراسات الخاصّة بالترجمة، وكلّ ما يعني بإنتاج الترجمة ووصف التّرجمات" (غيدر، 2015، صفحة 16).

إن علم الترجمة، كعلم ، يدرس العملية المعرفية والعمليات اللغوية الكامنة في أي نسخة (ترجمة) شفوية أو مكتوبة أو إيمائية ، نحو لغة ، للتعبير عن فكرة قادمة من لغة أخرى (علامات صوتية) (الكلام) ، الرسومات (الكتابة) أو الإيماءات). عندما لا يرتبط هذا العمل بالنصوص، يتكلم المرء أيضاً عن "التبادل بين الأوساط" أو "التحويل" (Jakobson, 1963)..

أعطى براين هاريس من جامعة مونتريال تعريفاً بسيطاً في عام 1973 ؛ بالنسبة له ، كل هذا يشير إلى التحليل اللغوي لظاهرة الترجمة (harris, 1973، صفحة 135) ، ولكن على عكس ما نقرأه في بعض الأحيان ، لم يكن برايان هاريس ولا جان رينيه لادميرال هو من صاغ المصطلح traductologie (Ladmiral, 1972). يعترف هاريس نفسه بهذا في مقاله "ما قصده حقاً بكلمة" ترجمة ". وفقاً لهاريس ، تم استخدام هذا المصطلح لأول مرة في عام 1968 من قبل ثلاثة باحثين بلجيكيين: ر. جوفين ، ب. هورين و جيه إم فان دير ميرشن.

4. المفاهيم الترجمة بين الجاحظ والنظريات الحديثة:

على الرغم من حداثة علم الترجمة، وزعم المنظرين الغرب بأن نشأته كانت في أوروبا وأمريكا، لكن تأتي مؤلفات الجاحظ لتدحض هذه الفكرة، وفيما سيأتي سنحاول التدليل على ذلك بالبرهان وعلى لسان الجاحظ نفسه:

1.4. الجاحظ والترجمة:

هو أبو عثمان عمر وبن بحر بن محبوب ، الجاحظ الكنايني الفقيمي ولاء، أشهر أدباء القرنين الثاني والثالث الهجريين وأوسعهم ثقافة، لقب بالجاحظ لجحوظ عينيه ولد في البصرة في بيت فقير. يعتبر الجاحظ أول منظر عربي للترجمة التي جاء ينظريته البيانية أو كما يعرف بالبيان والتبيين، والتي كان يقصد بها الفهم والإفهام أو الظهور والإظهار.

2.4. شروط الترجمة والترجمان:

- يذكر الجاحظ جملة من الشروط، لكي يصبح عمل المترجم سليماً، وأن بمقدوره نقل هذه اللغة إلى اللغة الأخرى، ومن بين هذه الشروط:
- معرفته باللغة المنقولة والمنقول إليها معرفة تامة.
 - كثرة عدد المترجمين الذين ينقلون من لغة إلى أخرى لكي يشد بعضهم أزر بعض.
 - معرفته بإصلاح سقطات الكلام، وإسقاط الناسخين للكتب. لأن إنشاء الألفاظ أهون من إصلاح كلمة سقطت من الكتاب.
 - لا يمكن ترجمة كلام الله عز وجل ترجمة حرفية، وإنما تنقل معانيه وتقرب إلى أذهان الناس.
- فلنستمع إليه يقول في هذا الشأن: "ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة، في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواءً وغاية. ومتى وجدناه أيضاً قد تكلم بلسانين، علمنا أنه قد أدخل الضيم عليهما، لأن كل واحدة من اللغتين تجذب الأخرى وتأخذ منها، وتعتزض عليها. كيف يكون تمكُّن اللسان منهما مجتمعين فيه، كتمكُّنه إذا انفرد بالواحدة، وإنما له قوة واحدة، فإن تكلم بلغة واحدة استغرقت تلك القوة عليهما، وكذلك إن تكلم بأكثر من لغتين، وعلى حساب ذلك تكون الترجمة لجميع اللغات.
- وكلما كان الباب من العلم أعسر وأضيق، والعلماء به أقل، كان أشدَّ على المترجم، وأجدر أن يخطئ فيه. ولن تجد البتة مترجماً يفي بواحد من هؤلاء العلماء". (الجاحظ، 2003م، صفحة 54)
- ويذكر الجاحظ (2003، ص 92-93) أيضاً، أن من صفات المترجم: أن يستشير الحكيم أو الفيلسوف العليم... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم...

ويؤيد هذا الرأي إبراهيم (إبراهيم، 2010) حيث يقول: "... مهما بلغ من تمكن ومعرفة بأسرار اللغتين، المصدر والهدف، لن يكون بمقدوره تقديم ترجمة مرضية...".

3.4. استحالة الترجمة:

يقر الجاحظ بصعوبة ترجمة الشعر، وإنه لا يمكن ترجمته إلى اللغات الأخرى. لأنه يفقد وزنه وإيقاعه ومعناه، وهو ليس كالنثر، الذي يمكن ترجمته ونقله. ويؤكد الجاحظ هذا بقوله (الجاحظ، 2003م، صفحة 53): "والشعر لا يستطيع أن يترجم، ولا يجوز عليه النقل، ومتى حوّل تقطّع نظمه وبطل وزنه، وذهب حسنه وسقط موضع التعجب، لا كالكلام المنشور. والكلام المنشور المبتدأ على ذلك أحسن وأوقع من المنشور الذي تحوّل من موزون الشعر. قال: وجميع الأمم يحتاجون إلى الحكم في الدين، والحكم في الصناعات، وإلى كل ما أقام لهم المعاش ويؤب لهم أبواب الفطن، وعرفهم وجوه المرافق؛ حديثهم كقديمهم، وأسودهم كأحمرهم، وبعيدهم كقريبهم، والحاجة إلى ذلك شاملة لهم. وقد نُقِلَت كتب الهند، وُترجمت حكم اليونان، وحُوّلت آداب الفرس، فبعضها ازداد حسناً، وبعضها ما انتقص شيئاً، ولو حُوّلت حكمة العرب، لبطل ذلك المعجز الذي هو الوزن، مع أنهم لو حوّلوها لم يجدوا في معانيها شيئاً لم تذكره العجم في كتبهم، التي وضعت لمعاشهم وفطنهم وحكمهم، وقد نُقِلَت هذه الكتب من أمة إلى أمة، ومن قرن إلى قرن، ومن لسان إلى لسان، حتى انتهت إلينا، وكنا آخر من ورثها ونظر فيها. فقد صح أن الكتب أبلغ في تقييد التأثير، من البُنيان والشعر".

4.4. مراعاة المتلقي:

يؤكد الجاحظ على ضرورة مراعاة القارئ واستهدافه باعتباره الأساس في العملية يرمتها وهو يقول في هذا الصدد: "وينبغي على من كتب كتاباً ألا يكتبه إلا على الناس كلهم له أعداد، وكلهم عالم بالأمر وكلهم متفرغ له، ثم لا يرضى بذلك حتى يدعه كتابه غفلاً، ولا يرضى بالرأي

الفطين، فإن لا ابتداء الكتاب فتنة وععجا، فإذا سكنت الطبيعة وهدأت الحركة وتراجعت الأخلاط، وعادت النفس وافرة، أعاد النظر فيه، فيتوقف عند فصوله توقف من يكون وزن طعمه في السلامة أنقص من وزن خوفه من العيب (الديداوي، 2000، صفحة 85).

إن إفهام القارئ وضرورة توصيل المعنى وتيسير الأمر له هذا ما نوه إليه الجاحظ إذ يقول : "وليس الكتاب إلى شيء أحوج منه إلى إفهام معانيه حتى لا يحتاج السامع لما فيه من الرواية، ويحتاج من اللفظ إلى مقدار يرتفع به عن ألفاظ السفلة والحشو، ويحطه من غريب الإعراب وحشو الكلام، ليس له أن يهذهبه جدا وينقحه ويصفيه ويروقه فإنه إن فعل ذلك، لم يفهم عنه إلا بأن يجدد لهم إفهاما مرارا وتكرارا، لأن الناس كلهم قد تعودوا المبسوط من الكلام وصارت أفهامهم لا تزيد على عاداتهم إلا بأن يعكس عليها ويؤخذ بها " (الديداوي، 2000، صفحة 86).

5.4. الترجمة والبراغماتية:

إضافة إلى الجاحظ، لا ننسى أن نشير إلى مترجم عظيم ساهم بشكل غير مباشر في التععيد للترجمة ونظريتها مبكرا، ألا وهو حنين ابن إسحق: هو طبيب عالم مقتدر نصراني من قبيلة عباد العربية، والتي كان موطنها الجيزة بالعراق، وقد عاش حنين عصر الجاحظ فتشبع بالبيان العربي، لتترسخ مهارته وتكتمل آله، فكانت نظريته أقرب ما تكون إلى النظرية البيانية للجاحظ، وأهم ما جاء به بن إسحق فيما يلي:

- 1- اتخاذ الجملة كوحدة للترجمة وتعريبها بجملة مطابقة؛
- 2- الوضوح إلى أقصى درجة والدقة المتناهية في التعبير؛
- 3- المراجعة ومقارنة المخطوطات؛
- 4- الترجمة بناء على الطلب وحسب الغرض؛
- 5- المقدرة العجيبة في اللغة العربية وذلك باستعمال أسلوب سلس خال من التعقيد.

فكانت تلك هي الترجمة البيانية التي أنجزها حنين بن إسحق وهي التي تطابقت مع ما اشترطه الجاحظ في المترجم المثالي الذي يجب عليه أن يكون ملماً بالموضوع، دقيقاً، واضحاً، م راجعاً، وبسيطاً سلساً.

5. خاتمة:

من خلال ما سبق استعراضه، نخلص إلى أن محاولة وضع نظريات وقواعد للترجمة والترجمان ليس حديث العهد، ولكن علماء اللغة العرب كان لهم الفضل في التعميد لعلم الترجمة ووضع أصوله. ولم يتوقف الأمر على عموميات ولكن الجاحظ وغيره من المترجمين والممارسين للغة قد أوغلوا في تفاصيل هذا العلم بمفاهيمه ومصطلحاته، مما فتح الباب مشرعاً لمن جاء من بعدهم طال الزمن أو قصر بعد ذلك.

قائمة المصادر والمراجع:

Larousse. (2012). *Dictionnaire « Le Petit Larousse illustré 2012 »*. Paris.

Delisle, J. (2001). L'évaluation de la traduction par l'historien. *Meta*, 46(2), 209-226.

harris, B. (1973). La traductologie, la traduction naturelle, la traduction automatique et la sémantique. *Problèmes de sémantique» (Cahier de linguistique 3*.

Jakobson, R. (1963). *Aspects linguistiques de la traduction*", *Essais de linguistique générale*. Ed. Minuit .

Ladmiral, J. (1972, Déc). La traduction. *Langages*(n° 28).

Mounin, G. (1963). *Les problèmes théorique de la traduction* . Paris: Gallimard.

إبراهيم م. ح. (2010). الأساليب التقنية للترجمة بين العربية والملايوية تطبيقات على أساليب فيني وداربلني . "عين" مجلة الجمعية العلمية السعودية للغات والترجمة .

الجاحظ، أ.ع (2003 م. (الحيوان éd. ط). (2 و. ح. السود، Trad.)، بيروت: دار الكتب العلمية.

الديداوي م. (2000). *الترجمة والتواصل*. المركز الثقافي العربي.

المنجد في اللغة العربية المعاصرة. (2015). بيروت: دار المشرق.

النجار، م. إ. (1976). المعجم الوسيط. القاهرة: دار الدعوة.

غيدر، م. (2015). مقدمة إلى الترجمة تفكرات في ماضي الترجمة وحاضرها ومستقبله. دار نينوي.

لادميرال، ج. ر. (2011). التنظير في الترجمة. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.